مكتبة الهمّة

الدولة الإسلامية

القول الفصل

في مشروعية هدم القبور المزعومة لأنبياء اللّه (عليهم السلام)



١٤٣٥ هـ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه أما بعد:

فقد عاش الناسُ في هذا البلد زماناً طويلاً يرزحون تحت وطأة الوثنية الجامحة، يُضلّهم في ذلك علماءُ السوء وشيوخُ الضلالة، الذين أزبدوا وأرعدوا وحرّضوا وتوعّدوا لـمّا قامتِ الدولةُ الإسلامية بمحو المعالم المكذوبة لأنبياء (عليهم السلام) والتي ما هي إلا مقامات زور وزيف، ومشاهد مختلَقة مصطنَعة، لم يكن الغرض منها إلا اللصوصية وجمع المال برؤوس السُذَّج والبسطاء باسم الدين، وقد آن الأوان أن تُمحى هذه المقامات المؤتفَكة والشواهدُ الكُذُب، بعدما مكّن الله تعالى لأهل التوحيد في الأرض.

وهلمَّ فلنكشف من كتب أهل العلم والمؤرخين كذب المدلّسين الملبّسين، وننهل من معين الكتاب والسنة مشروعية إزالة بؤر الشرك والخرافات، وقلعها وخلعها من أماكنها ومن قلوب الناس، ولنأتِ عليها بحول الله وقوته واحدةً واحدة:

أولاً: النبي يونس (عليه السلام):

لا يُعْلَمُ من قبور الأنبياء إلا قبر النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) فقط، وقبر إبراهيم الخليل (عليه السلام) فيه نزاع، وأما ما عدا ذلك من القبور والمقامات فمن المقطوع بكذبه!!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): "وَأَمَّا قُبُورُ الْأَنْبِيَاءِ فَالَّذِي اتَّفَقَ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ هُوَ قَبْرُ النَّبِيِّ محمد (صلى الله عليه وسلم) فَإِنَّ قَبْرَهُ مَنْقُولٌ بِالتَّوَاتُرِ وَكَذَلِكَ فِي صَاحِبَيْهِ وَأَمَّا قَبْرُ الْخَلِيلِ فَأَكْثَرُ النَّاسِ عَلَى أَنَّ هَذَا الْمَكَانَ الْمَعْرُوفَ هُوَ قَبْرُهُ وَأَنْكَرَ ذَلِكَ طَائِفَةٌ وَحُكِيَ الْإِنْكَارُ عَنْ مَالِكٍ وَأَنَّهُ قَالَ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا قَبْرُ نَبِيٍّ يُعْرَفُ إلَّا قَبْرُ نَبِيِّنَا (صلى الله عليه وسلم) لَكِنَّ جُمْهُورَ النَّاسِ عَلَى أَنَّ هَذَا قَبْرُهُ وَدَلَائِلُ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ وَكَذَلِكَ هُوَ عِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ".

وقال رحمه الله: "الْقَبْرُ الْمُتَّفَقُ عَلَيْهِ هُوَ قَبْرُ نَبِيِّنَا (صلى الله عليه وسلم) وَقَبْرُ الْخَلِيلِ فِيهِ نِزَاعٌ؛ لَكِنَّ الصَّحِيحَ الَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ أَنَّهُ قَبْرُهُ، وَأَمَّا يُونُسُ وَإِلْيَاسُ وَشُعَيْبٌ وَزَكَرِيَّا فَلَا يُعْرَفُ".

وقال (رحمه الله) أيضاً: "وَأَصْلُ ذَلِكَ أَنَّ عَامَّةَ أَمْرِ هَذِهِ الْقُبُورِ وَالْمَشَاهِدِ مُضْطَرِبٌ مُخْتَلَقٌ لَا يَكَادُ يُوقَفُ مِنْهُ عَلَى الْعِلْمِ إلَّا فِي قَلِيلٍ مِنْهَا بَعْد بَحْثٍ شَدِيدٍ، وَهَذَا لِأَنَّ مَعْرِفَتَهَا وَبِنَاءَ الْمَسَاجِدِ عَلَيْهَا لَيْسَ مِنْ شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ وَلَا ذَلِكَ مِنْ حُكْمِ الذِّكْرِ الَّذِي تَكَفَّلَ اللَّهُ بِحِفْظِهِ حَيْثُ قَالَ: {إنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} بَلْ قَدْ نَهَى النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَمَّا يَفْعَلُهُ الْمُبْتَدِعُونَ عِنْدَهَا مِثْلُ قَوْلِهِ الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَمِعْت النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ وَهُوَ يَقُولُ: «إنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ» وَقَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِد»، وَقَدْ اتَّفَقَ أَئِمَّةُ الْإِسْلَامِ عَلَى أَنَّهُ لَا يُشْرَعُ بِنَاءُ هَذِهِ الْمَشَاهِدِ عَلَى الْقُبُورِ وَلَا يُشْرَعُ اتِّخَاذُهَا مَسَاجِدَ وَلَا يُشْرَعُ الصَّلَاةُ عِنْدَهَا وَلَا يُشْرَعُ قَصْدُهَا لِأَجْلِ التَّعَبُّدِ عِنْدَهَا بِصَلَاةِ أَوْ اعْتِكَافٍ أَوْ اسْتِغَاثَةٍ أَوْ ابْتِهَالٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ" [انظر مجموع الفتاوى، المجلد ٢٧].

انظرْ وتأمّل! ها هو شيخُ الإسلام يؤكد على أن جُلَّ هذه المشاهد –إن لم يكن كلها- مختلقٌ مكذوب لا أصل له! ومنها قبر يونس (عليه السلام) الذي لا يُعْرَف، فضلاً عن مقامه!! كما نصَّ (رحمه الله) على أنه لا يُشْرَع بناء هذه المشاهد على القبور ولا الصلاة عندها ولا اتخاذها مسجداً ولا يُشرع قصدها للزيارة والتعبّد، وحكى اتفاق أهل العلم على ذلك.

فإذا علمت ذلك وعلمت أن قبر يونس (عليه السلام) مختلق مكذوب فضلاً عن مقامه ومشهده، بالرغم من البحث المضني في الكتب المعتمدة على صحة المقام المزعوم ولم نجده!! فاعلم أن القوم تبركوا وألّهوا (الفراغ) بل عبدوا الشيطان

وهذا ما أرادَ لعنه الله، قال تعالى: {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ* وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ* وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ} [يس: ٦٠-٦٢].

ثانياً: النبي جرجيس (عليه السلام):

وهلمّ لنعرف شأن نبي اللّه جرجيس (عليه السلام) مع قومه حتى نعلم أين مقامه وقبره!

قال الإمام ابن جرير الطبري (رحمه الله): "أقبل جرجيس على الدعاء -أي لـمّا أيس من قومه ومن مَلِكِهم الطاغوت-، فقال: اللهم أنت الذي أكرمتني بهذا البلاء، لتعطيني به فضائل الشهداء! اللهم...... فلما فرغ من هذا الدعاء، أمطر الله عليهم النار، فلما احترقوا عمدوا إليه فضربوه بالسيوف غيظاً من شدة الحريق، ليعطيه الله تعالى بالقتلة الرابعة ما وعده، فلما احترقت المدينة بجميع ما فيها وصارت رماداً حملها الله من وجه الأرض حتى أقلها، ثم جعل عاليها سافلها، فلبثت زماناً من الدهر يخرج من تحتها دخان منتن، لا يشمه أحد إلا سقم سقماً شديدا" [تاريخ الرسل والملوك للطبري ج٢، الكامل لابن الأثير ج١، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي ج٢].

تنبيه: قوله (ليعطيه الله تعالى بالقتلة الرابعة ما وعده) فإن ملك الموصل وزبانيته قتلوه أربع مرات وفي كل مرة يحييه الله تعالى واصطفاه للشهادة في المرة الرابعة.

قلتُ: فمحل الشاهد هو قول الطبري: "فلما احترقت المدينة بجميع ما فيها وصارت رماداً.. إلخ"!! مدينة احترقتْ بجميع ما فيها وصارت رماداً وأقلها الجبار وجعل عاليها سافلها واستحالت دخاناً وأثراً بعد عين، فبالله عليكم ماذا بقي من معالمها؟ فضلاً عن قبر جرجيس (عليه السلام) ومقامه! فأنّى عَثَرَ عليه هؤلاء وجَهِلَه الأئمة؟! قبَّحَ الله الكذب وأهله.

ثالثاً: نبي الله شيث (عليه السلام):

على الرغم من الجهل بقبره فضلاً عن مقامه، فلْنقرأ معاً كلام ابن جرير، قال رحمه الله: "وقيل: إن شيثاً لما مرض أوصى ابنه أنوش، ومات فدفن مع أبويه في غار أبي قبيس، وكان مولده لمضي مائتي سنة وخمس وثلاثين سنة، من عمر آدم عليه السلام وكانت وفاته وقد أتت له تسعمائة سنة واثنتا عشرة سنة" [تاريخ الأمم والملوك ج١، الكامل لابن الأثير ج١].

قلتُ: وأبو قبيس جبل في مكة! ودُفن آدم على ما قيل في أبو قبيس، فأنّى مقامه بالموصل؟ سبحانك هذا بهتان عظيم!

رابعاً: نبي الله دانيال (عليه السلام):

قال حُمَيْد بن زنجويه: "قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ:أخبرنا حَسَّانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ السَّرِيِّ بْنِ يَحْيَى عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: لَمَّا فُتِحَتِ السُّوسُ، وَعَلَيْهِمْ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ وَجَدَ دَانِيَالَ فِي أَبْزَنٍ، وَإِذَا إِلَى جَنْبِهِ مَالٌ مَوْضُوعٌ، مَنْ شَاءَ أَتَى فَاسْتَقْرَضَ مِنْهُ إِلَى أَجَلٍ، فَإِنْ أَتَى بِهِ إِلَى ذَلِكَ الْأَجَلِ، وَإِلَّا بَرِصَ قَالَ: فَالْتَزَمَهُ أَبُو مُوسَى وَقَبَّلَهُ، وَقَالَ: دَانِيَالُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ ثُمَّ كَتَبَ فِي شَأْنِهِ إِلَى عُمَرَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ أَنْ كَفِّنْهُ، وَحَنِّطْهُ وَصَلِّ عَلَيْهِ، ثُمَّ ادْفِنْهُ كَمَا دُفِنَتِ الْأَنْبِيَاءُ، وَانْظُرْ مَالَهُ فَاجْعَلْهُ فِي بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ، قَالَ: فَكَفَّنَهُ فِي قُبَاطِيٍّ بِيضٍ وَصَلَّى عَلَيْهِ وَدَفَنَهُ " [الأموال لابن زنجويه ج٢]، وقد أخرج نحوه ابن أبي شيبة بإسناد رجاله ثقات.

قال الطبري (رحمه الله): "كَتَبَ إِلَيَّ السري عن شعيب عن سيف عن عطية عمّن أورد فتح السوس، قال: وقيل لأبي سبرة:

هذا جسد دانيال في هذه المدينة" [تاريخ الرسل والملوك ج٤].

قال ياقوت الحموي: "السُّوسُ: بضم أوّله، وسكون ثانيه، وسين مهملة أخرى، بلفظ السوس الذي يقع في الصوف: بلدة بخوزستان فيها قبر دانيال النبيّ عليه السلام" [معجم البلدان ج٣].

قلتُ: وخوزستان هي الأهواز حالياً، والأَهْوَاز (الأحواز) اسم عربي أُطلقَ في الإسلام، وكان اسمها في أيام الفرس خوزستان [معجم البلدان ج١]. فإذا ثبت أن دانيال عليه السلام كان مثواه بالسوس في خوزستان (الأهواز حالياً) فيا ليت شعري ما الذي أتى به إلى الموصل!!

خلاصة الكلام:

ها قد اتضح لك أخي القارئ الكريم كذب هذه المعالم والقباب بما لا يدع مجالاً للشك أنها وضعٌ واضع، وما وضعت والله إلا للدجل واللصوصية من قبل السدنة والقوّام، وهذا التأريخ حَكَمٌ بيننا وبينهم.

فإن قال الخصوم بأن الدولة الإسلامية إذا تمكنتْ في بلد قامت بهدم القباب والأبنية على القبور والمشاهد والآثار فهذا حق، وهو عين الصواب، ويجب أن تُمدح به لا تذم، لكن الخصوم صوروا ذلك بصورة الباطل، ولبَّسوا على العامة دينهم وروَّجوا هذه الأخبار، وأطلقوا المزاعم والفتاوى المعلبة في معرض التشنيع والتلبيس على الناس بأن إزالة هذه البدع تعني بغض الأولياء والصالحين وإهانتهم.

مع أن الدولة الإسلامية حين قامت بذلك كانت تفعله امتثالاً لأمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وإنكاراً لهذه البدع والمظاهر الشركية، وبمقتضى الأدلة الشرعية والتي منها الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد في المسند ومسلم في صحيحه وغيرهما عن أبي الهياج الأسدي قال: قال علي (رضي الله عنه): ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «أن لا تدع تمثالًا إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته»، وفي صحيح مسلم أيضًا عن ثمامة بن شفي الهمداني قال: "كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم فتوفي صاحبٌ لنا فأمر فضالة بقبره فسوي، ثم قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يأمر بتسويتها".

وهؤلاء يبالغون في مخالفة هذين الحديثين وغيرهما من الأدلة القطعية، فيرفعون القبور من الأرض كالبيت ويعقدون عليها القباب ويضعون عليها النياشين ويكسونها كما يُكسى بيت الله الحرام ويفعلون عندها الموالد العظام وينذرون لها ويبالغون في تعظيمها ما ليس للكعبة عندهم عشر المعشار!!

وكان من أساليب الخصوم وإمعانهم في تهييج عواطف عامة المسلمين وجهالهم ضد الدولة أن زعموا أن أهلها يهينون الأولياء والأموات، ولا يعظمونهم! وهذا تلبيسٌ واضح، فإن كان القصد بتعظيم الأولياء والأموات كما جاءت به السنة؛ من زيارتهم والسلام عليهم والدعاء لهم واحترام قبورهم وعدم إهانتها ونحو ذلك، فهذا ما يدين به أهل السنة ويعملون به، ومنهم الدولة الإسلامية أمراءً وجنوداً، أما إن قصد بذلك تقديسهم ورفعهم إلى مقام الألوهية والربوبية وصرف شيء من العبادة لهم أو اتخاذ البدع حول قبورهم من البناء عليها وإسراجها وتجصيصها والتبرك بها واتخاذها مساجد، فهذا ونحوه إهانة للأولياء والمؤمنين، ومشاقة لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومحادّة لله رب العالمين.